International Journal of Arabic Language and Literature Studies
المجلة الدولية لدراسات اللغة العربية وادابها
ISSN: 2707-7659
DOI: 10.32996/ijalls
Journal Homepage: www.al-kindipublisher.com/index.php/ijalls

مزايا إعلامية ديبوجراند في تفسير روح المعاني دراسة تطبيقية على آيات مختارة

منار محمد بشار قنوص-جامعة الوصل- دولة الإمارات العربيّة المتّحدة.

تاريخ استلام البحث: 2024/11/25	تاريخ نشر البحث: 2024/12/27	المجلد: 6	العدد: 1

الملخص:
تناولت الدراسة مفهوم الإعلامية عند دي بوجراند في تفسير روح المعاني للألوسي، وطبقت الدراسة هذا المفهوم على مواضع مختارة من التفسير. هدفت الدراسة إلى تقديم رؤية جديدة في قراءةٍ منهجيةٍ موجهةٍ تبين تجليات الإعلامية عند الألوسي في تفسيره روح المعاني، سعيًا إلى بناء تصور من زاوية نصية محددة من أحد معايير النص السبعة وهو معيار الإعلامية، وذلك لمعرفة مدى وجود هذا المعيار في تفسير روح المعاني .وقد بينت الدراسة حضور معيار الإعلامية في التفسير كأداة نصية من أدوات الألوسي التفسيرية والتأويلية، وتمظهرت فيه بدرجاتها الثلاثة تطبيقًا وتنظيرًا، ووقفت الدراسة على تجليات الإعلامية في روح المعاني وذلك في تعامل المفسر مع مجموعة من الظواهر منها: الحروف المقطعة، والإخبار بالغيب، وكذلك في المحكم والمتشابه، والإشارات العلمية التي حملها النص القرآني، والاستعمالات الجديدة فيه .وقد انتهجت هذه الدراسة المنهج الوصفي، وهي دراسة نوعية لا إحصائية، وتوصلت إلى نتائج كان أهمها أن الإعلامية قد ظهرت في روح المعاني في درجاتها الثلاثة، وتجلت فيه بالعديد من الأمور فالحروف المقطعة حملت تجديدًا وكسرًا للتوقع، كما وقف الألوسي على مبدأ الإخبار بالغيب تنظيرًا وتطبيقًا وما يحمله من عنصر مفاجأة للمتلقي، أما المحكم فإعلاميته من الدرجة الأولى لا يقبل إلا وجهًا واحدًا للتفسير وقد يتجاوزه الألوسي في التفسير، على عكس المتشابه الذي ترتفع درجة إعلاميته وتتعدد احتمالاته، كما وقف المفسر في روح المعاني على المعلومات التي حملها النص القرآني وتعود إلى علوم مختلفة كالفلك والطب والفيزياء وغيرها، كما أشار إلى الاصطلاح الجديد في المثَل القرآني مما يجلي الإعلامية في مبدأ كسر التوقع عند المتلقي.

الكلمات المفتاحية: الألوسي، روح المعاني، الإعلامية، لسانيات النص

Media Advantages of for De Beaugrande in Interpreting Ruh al-Ma'ani: An Applied Study on Selected Verses

Manar MHD Bachar Kanous, Al-Wasel University, United Arab Emirates

Corresponding Author: Manar MHD Bachar Kanous, **E-mail**: manarkanouss@gmail.com

4**RECIEVED:** 25 November 2024 **PUBLISHED:** 27 December 2024 **DOI:** 10.32996/ijalls.2024.6.1.14

Abstract:
The study examined the concept of the informativity for De Beaugrande's as applied to Al Aloosi's interpretation, *Ruh al-Ma'ani*. The study applied the concept on selected verses from the interpretation. The study sought to offer a new perspective on reading the methodologically guided approach that reveals the manifestations of informativity in Al- Aloosi's interpretation, *Ruh al-Ma'ani*, by building a concept from a specific textual angle based on one of the seven standards of textuality: the criterion of informativity. This was done to unveil whether this criterion was present in *Ruh al-Ma'ani*. The study showed the presence of the informativity criterion in the interpretation as a textual tool used by Al-Aloosi for both interpretation and hermeneutics, manifesting in its three levels both theoretically and practically. The study explored the manifestations of informativity in *Ruh al-Ma'ani* in Al-Aloosi's handling of a number of phenomena: disconnected letters, predictions of the unseen, and in dealing with definitive (muhkam) and ambiguous (mutashabih) verses, as well as in the scientific references found within the Qur'anic text and in introducing the use of new terminology in it. This study adopted a descriptive method and was qualitative rather than quantitative. Its main findings included that informativity appears in *Ruh al-Ma'ani* in its three levels and is reflected in various aspects: the disconnected letters bring novelty and break expectations; Al-Aloosi explored the principle of informing about the unseen both theoretically and practically, incorporating an element of surprise for the audience. The definitive verses are highly informative, accepting only a single interpretation, though Al-Aloosi may occasionally transcend this in his interpretation, unlike the ambiguous verses, which have higher levels of informativity and multiple interpretations. Furthermore, the interpreter in *Ruh al-Ma'ani* examined the knowledge embedded within the Qur'anic text related to various sciences, such as astronomy, medicine, and physics, and referred to new terminology in the Qur'anic parable, enhancing informativity by breaking the recipient's expectations.

Keywords: Al Alusi, Ruh Al maani, Informativity, Text linguistics

المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم، وأما بعد:

فإن معيار الإعلامية هو أحد المعايير التي اقترحها روبرت ديبوجراند للنصوص وتحليلها في إطار علم اللغة النصي، يركز هذا المعيار على مدى توفير النص للمعلومات الجديدة بالنسبة للقارئ أو المستمع، مما يساهم في جعله ذا قيمة معرفية وفائدة، وتشمل أيضاً كيفية تقديم المعلومات والتفاعل بينها وبين توقعات المتلقي.

وتفسير روح المعاني هو أحد أبرز التفاسير في العالم الإسلامي، قام بتأليفه العلامة الألوسي البغدادي، ويعتبر من أهم المراجع في تفسير القرآن الكريم، إذ يجمع بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي إضافة إلى المعارف المتنوعة التي يجمعها من علوم لغوية وشرعية وغيرها.

وإذا أنعمنا النظر في تفسير روح المعاني فإننا سنلمس في واقع التفسير ومستواه الإجرائي ممارسة نصيّة في مجموعة من المستويات، وقد جاءت هذه الورقة لتتبع المستوى الإعلامي في هذا التفسير، وكيف تجلّت فيها بصرف النظر عن الأبعاد النظرية ومدى وضوحها أو استقرارها، فإنها ملمح حاضر في التفسير وله تجليات متنوعة، فإن تعرض التفسير إلى مدى قدرة النص على نقل المعلومات بوضوح، ومدى إفادتها للقارئ لا يفوّت إنما هو منطلق مهم لدراسة هذا المعيار في هذا التفسير الجليل.

كما تتعلق الإعلامية بتقديم المعلومات الجديدة التي تضيف إلى معرفة المتلقي، وهنا يتفق تفسير روح المعاني مع هذا المعيار إذ إن النص القرآني يحمل المعلومات، والألوسي بدوره قد وقف عند تلك المعلومات فلم يكن يكتفي بتقديم المعنى السطحي للآيات؛ بل كان يقدم في تفسيره تحليلاً شاملاً مما يعزز فهم النص للمتلقي فالبحث يركز على آلية عمل الألوسي في توضيح الجديد الذي يحمله القرآن للمتلقي، وكذلك يبحث في المواضع التي يتحقق فيها كسر التوقع والمفاجأة، وهو ما يجلي مبدأ الإعلامية الحديث في تفسير روح المعاني على المستوى النصي تنظيرًا أو تطبيقًا.

التمهيد:

إن نصية النص دراسةٌ فيما يجعل من النص نصًا كاملًا ذا هوية، وقد اقترح ديبوجراند ودريسلر سبعة معايير أو مقاييس تحدد نصية النص إنتاجًا وتأويلًا[1]، وهي: الاتساق، والانسجام، والقصدية، والمقبولية، والإعلامية، والسياق، والتناص.

وينسكب تركيز هذا البحث على المعيار الخامس من معايير النصية وهو معيار الإعلامية الذي يحمله النصوص.

الإعلامية:

الإعلامية (Informativity) أحد معايير النص الحديثة، تشير إلى العامل المؤثر بالنسبة لعدم الجزم في الحكم على الوقائع النصية، وبه افتراض أن كل نص من النصوص لا بد له أن يحمل مقدارًا من الإخبار، والإعلامية هو المصطلح الذي اختاره حسان في ترجمته لكتاب ديبوجراند،[2] كما يطلق عليها مسمى الإخبارية، والمعلوماتية أي ما نحصل عليه من المعلومات التي يتضمنها النص.[3]

وعرفها روبرت ديبوجراند بأنها: "العامل المؤثر بالنسبة لعدم الجزم في الحكم على الوقائع النصية، أو الوقائع في عالم نصي في مقابلة البدائل الممكنة"[4] فالإعلامية تكون عالية الدرجة عند كثرة البدائل، وعند الاختيار الفعلي لبديل من خارج الاحتمال، ومع ذلك نجد لكل نص إعلامية صغرى على الأقل تقوم وقائعها في مقابل عدم التوقع.[5]

وتُعدّ الإعلامية إحدى المعايير النصية التي تتناول معايير الغرابة والطرافة في النص الأدبي، كما تعتني بناحية الجدة أو التنوع الذي توصف به المعلومات في بعض المواقف، وتسعى لإيجاد قواعد وأسس لإنتاج النص وتلقيه، وتؤكد على ما يتصف به النص من الكفاءة والإقناع، وتبحث في قصد الكاتب وقبول المتلقي في النصوص، ومدى توقعه لعناصرها.

فهي من أهم الأدوات التي تكشف عن عنصر المفاجأة وما هو غير متوقع في النصوص الأدبية، خاصة في القرآن الكريم، وبها تجلت أنوار جماله وانكشفت أهم المفارقات على مختلف المستويات فلها تأثير أي تأثير في نفوس المتلقين، فالمألوف وغير المألوف هو من أهم ما يتناوله هذا المعيار وهو ما يتسم به النص من عناصر مفاجئة مقابل المتوقَّع، أو المعرفة مقابل عدم المعرفة، وتتمثل في إنتاج النص واستقباله لدى المتلقي ومدى توقعه لعناصره، كلما مُيزت التراكيب بالعادة المألوفة تكون الكفاءة الإعلامية منخفضة، ومن جهة أخرى كلما بَعُد احتمال الورود ارتفع مستوى الكفاءة الإعلامية.

والإعلامية تتصل بالسياق المحيط بالنص،[6] ويعدّ هذا المعيار أحد معايير النصية التي تسعى لإيجاد قواعد وأسس لإنتاج النص وتلقيه، وتؤكد على ما يتصف به النص من الكفاءة والإقناع، وتبحث في قصد الكاتب وقبول المتلقي في النصوص وكلما بعد احتمال الورود ارتفع مستوى

[1] ديبوجراند، روبرت، النص والخطاب والإجراء، ترجمة: دتمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1998، ص103
[2] انظر: نفسه، ص105
[3] انظر: إبراهيمي، عزت ملا، تجليات الإعلامية في القرآن الكريم (سورتي البلد والشمس نموذجًا) مجلة اللغة العربية وآدابها، جامعة طهران، إيران، العدد3، ص297
[4] ديبوجواند، النص والخطاب والإجراء، ص105
[5] انظر: نفسه، ص105
[6] انظر: شاهين، فرحان عبد الخالق، أصول المعايير النصية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، رسالة ماجستير، جامعة الكوفة، العراق، 2012، ص422

الكفاءة الإعلامية،[7] إذ إن المتلقي في الدراسات النصية الحديثة يعتبر عماد النصوص الأدبية، ذلك لأنه غاية العمل الأدبي، والذي يفك شفرات النص ويكشف ما فيه من المغاليق والمعاني، وذلك لا يتحقق إلا من خلال القارئ الذي يهتم بعناصر الجمال في النص ويعيد تشكيله من جديد.[8]

وللإعلامية في لسانيات النص خصائص متعددة، وأبرز هذه الخصائص:

أولاً: إن الخطاب الإعلامي خطاب تواصلي وذلك لأن اللغة بناء واستعمال، ودراسة اللغة تكمن في هذين الجانبين، ويتعلق جانب الاستعمال بالتواصل والإعلام، والعلاقة بين التواصل والإعلام علاقة وطيدة، فكل ما يمكن أن يُتواصل به باللغة أو بغيرها فإنه يُعَدّ وقائع إعلامية، والإعلامية لا يمكن أن تكون من دون التواصل اللغوي، فالإبلاغ يتطلب طرفين هما: المبلِّغ والمبلَّغ[9].

ثانيًا: كلما بَعُد احتمال الورود ارتفع مستوى الكفاءة الإعلامية ومن آليات رفع الإعلامية، الانقطاعات (نقص المعلومات) إذ تكون المواد مفقودة من بنية نصية، والفجوات والتناقضات إذ تكون أنماط المعلومات الواردة لا تتطابق مع أنماط المعلومات المختزنة عند المتلقي، كما يمكن أن نزيد على ذلك الآليات التي تتناسب مع مفهوم الجدة، والغرابة والتنوع.[10]

ثالثًا: تتصف الوقائع من الدرجة الأولى بأنها وقائع مبتذلة، أي أنها تكون مستوعبة في نظام أو مقام ما استيعابًا كاملًا يجعل حظها من الاهتمام ضئيلًا.[11]

فمعنى الإعلامية أن يكون للنص مضمون يريد إخباره للمتلقي أي ما نحصل عليه من معلومات يتضمنها النص،[12] وبالنسبة للنص القرآني فإن معرفة الظروف والأحوال المحيطة بهذا النص المقدس يكاد يكون شيئا مكملا لمجمل التحليل فمعلوم أن النص القرآني نزل منجمًا مناسبًا لتنوع الأحداث والظروف، ولم ينزل مرة واحدة في مكان ولا زمان ولا حادثة واحدة، ولهذا يحتاج فهمه ودراسته أحيانا لتسليط الضوء على أسباب النزول ليتضح التفسير،[13] والخطاب القرآني خطاب إعلامي إخباري، فهو خطاب تواصلي، يعتمد على عناصر إعلامية تواصلية لتبليغ رسالته وحمل الناس على قبولها والاستجابة لها، ولكن هذا الإبلاغ يحتاج إلى التأويل والتبيين أحيانًا فلا بدّ من اللجوء إلى السياق الذي يمارس دورًا هامًا في تقليل التأويلات الممكنة.

مراتب الإعلامية:

من الطبيعي أن تتعدد درجات الإعلامية في ظل تنوع المتلقين، فإن المتلقين متفاوتون في درجات تلقي النص من حيث معلوماتها وتوقعاتها، ولهذا التنوع امتداد نحو الخلفية المعرفية للمتلقي أو المرجعية التي يتلقى النص بها، وكذلك هي في تماس مع مصادر خفض التوقع حول النصوص، وبالنظر إلى درجات الإعلامية فإنها ثلاث درجات بحسب روبرت دي بو جراند وقد أجمل مفاهيمها بطريق جليّة وقد وزعها في المستويات الآتية:

فإعلامية المستوى الأول أو الدرجة الأولى تمثلت لديه جملة غطاء هي "المحتوى المحتمل لتركيب محتمل"[14] ومن شأن المحتوى المحتمل في تركيب محتمل أن يكون سهل الصياغة قليل الإعلامية من جهة توقع المضمون وتلقيه، وإن صعدنا باتجاه الدرجة الثانية تجدها تتبلور في عبارة "المحتوى غير المحتمل في التركيب المحتمل أو المحتوى المحتمل في التركيب غير المحتمل"[15] ومن لوازم هذا المستوى أن يلتصق بصفة التحدي إلى حد مقبول دون إثارة الجدل.

ثم يأخذنا إلى مستوى ثالث بدرجة أعلى وأعقد هي إعلامية الدرجة الثالثة التي بينها من خلال قوله "المحتوى غير المحتمل في تركيب غير محتمل"[16] ولا تخفى صعوبة هذه الدرجة وإثاراتها للاحتمالات المؤدية إلى الجدل، وهي موجودة في النصوص القرآنية وهي موضع نظرنا في هذه الورقة كالحروف المقطعة،[17] وأهم عناصر الإعلامية للدرجة الثالثة الانقطاعات؛ تعني وهي فقدان بعض المواد في النص أو عند عدم التعليق، والفجوات... هذه العناصر غير معتادة، وشديدة الإثارة.

ويمكن العثور على إعلامية الدرجة الثالثة في الوقائع التي تبدو للوهلة الأولى خارجة بعض الشيء على قائمة الخيارات المحتملة، وهذه الوقائع قليلة الحدوث نسبيًا وتتطلب قدرًا كبيرًا من الاهتمام وموارد المعالجة، وتنقسم وقائع الدرجة الثالثة إلى الانقطاعات وفيها تبدو تشكيلة ما خالية من المادة، وإلى المفارقات وفيها تبدو الأنماط المعروضة من النص غير مواكبة لأنماط المعرفة المختزنة.[18]

---

[7] ديبوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص249

[8] انظر: إبراهيمي، عزت ملا، تجليات الإعلامية في القرآن الكريم (سورتي البلد والشمس نموذجًا)، ص 293-320

[9] حاقة، عبد الكريم، إبلاغية الخطاب القرآني من منظور لسانيات النص دراسة في سورة البقرة، رسالة دكتوراة، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2016، ص99

[10] انظر: مصطفى وعبد الله، حنان وإخوان، معيار الإعلامية لدى روبرت دي بوغواند وتجلياته في آيات القرآن الكريم دراسة دلالية، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، العدد 1، ماليزيا، 2018، ص8

[11] ديبوجراند، روبرت وآخرون، مدخل إلى علم لغة النص، دار الكاتب، نابلس، ط1، 1992، ص187

[12] انظر: بخولة، بن الدين، الإسهامات العربية في التراث العربي، رسالة دكتوراه، جامعة وهران، الجزائر، 2016، ص103

[13] انظر: البستاني، بشرى ووسن المختار، في مفهوم النص ومعايير نصية في القرآن الكريم، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل، العراق، 2011، العدد 11، ص172

[14] ديبوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص23

[15] المرجع السابق نفسه، ص24

[16] نفسه، ص24

[17] انظر: نفسه، ص24

[18] ديبوجراند وآخرون، مدخل إلى علم لغة النص، ص190

الألوسي:

وقبل التعرف على شخصية الألوسي من المهم أن نلقي نظرة على الحقبة التاريخية التي عاش بها، فحياته كانت في أواخر زمن الدولة العثمانية، إذ لم يكن الوضع آنذاك وضع استقرار بل كان متوترًا بسبب ضعف الدولة العثمانية وكثرة أطماع الطامعين بها، خصوصًا في العراق،[19] غير أن ذلك العصر تمتع بنهضة علمية في ولاية داوود باشا الذي اهتم بالعلم والعلماء.[20]

والألوسي هو أبو الثناء شهاب الدين محمود بن عبد الله بن درويش بن عاشور،[21] ينتسب إلى نسل الحسين بن علي بن أبي طالب.[22]

يلقب بالألوسي نسبة إلى قرية ألوس التي تقع قرب الفرات حسب ترجيح محمد بهجة الأثري.

ولد في الرابع عشر من شعبان سنة ألف ومئتين وسبع عشرة هجري،[23] وكانت أسرته مهتمة بالعلم، فحفظ القرآن صبيًا، كما تعلم مختلف العلوم اللغوية والشرعية، والفقهية على المذهب الشافعي ثم الحنفي،[24] كما عمل معلمًا، وتتلمذ على يده الكثير.[25]

وللألوسي كتب كثيرة، وصلنا منها عدد كبير، وأبرز هذه الكتب:

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبق المثاني.
- الأجوبة العراقية على الأسئلة الإيرانية.
- نهج السلامة إلى مباحث الإمامة.
- كشف الطرة عن الغرة.
- حاشية شرح قطر الندى.

وتوفي في شهر ذي القعدة عام ألف ومئتين وسبعين للهجرة في بغداد.

تفسير روح المعاني:

واسمه الكامل روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، وهو تفسير موسوعي يجمع بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي من أكبر التفاسير حجمًا وأغزرها مادة، كتاب يتكون من ثلاثين جزءًا في خمسة عشر مجلدًا، استغرق الألوسي في كتابته خمسة عشر عامًا، كتبه متأثرًا بمن سبقه من أعلام التفسير مستفيدًا منهم ومضيفًا إليهم، فقد ذكر أنه طالما اقتطف من أزهارهم، واقتبس من أنوارهم،[26] ولعل أهم أولئك العلماء الذين أخذ عنهم الألوسي هو الإمام الرازي الذي يذهب المذهب الشافعي، إذ كان يتعقبه في كثير من المسائل، ويرد عليه في المسائل الفقهية خاصة، منتصرًا لمذهب أبي حنيفة، كما أخذ عن أبي حيان وابن عطية والزمخشري وغيرهم، فنقل عنهم وناقش أقوالهم وآراءهم بالترجيح أو التضعيف، وأولى اهتماما بالغًا بالنحو والصرف والبلاغة، كما اعتنى بالقراءات والمناسبات وأسباب النزول، وكان يرجح بين الأقوال والأحكام فيقيم الحجة على المخالفين لأهل السنة، ويفند أقوالهم، فقد نقد الآراء وحللها.

المبحث الأول: درجات الإعلامية في روح المعاني:

إذا كان علماء العربية أقروا بالتعامل مع النص بوصفه وحدة أكبر من الجملة، فإنهم أقروا بها لفئات ثلاث أولها المفسرون، ومن هذا المنطلق نتتبع ما يشعر بمبدأ الإعلامية وتوافقها مع نظريتها الحديثة ملتفتين إلى كونها بعدا إجرائيا أكثر من كونها مسارا نظريًا في التفسير المعني بالدراسة، ويمكننا القول إن الغوص في طيات التفسير سيجد نتيجة مسبقة في الآيات القرآنية أنها تتمتع بكل معايير النصوص والإعلامية واحد منها، لكننا سنقف على تجلياتها في التفسير أي في كلام البشر وبعبارة أخرى كيف تجلت آثار إعلامية النص القرآني في التفسير ، ومن أجل ان يتحقق هذا المطلب كان لا بد من الوقوف على درجات الإعلامية المتجلية في روح المعاني على النحو الآتي:

إعلامية الدرجة الأولى في روح المعاني:

ولاحظنا أن هذه الدرجة حاضرة في روح المعاني ويجليها منهج الألوسي في تفسير الآيات ذات المدلول غير المتعدد دون وجود احتمالات دون وجوه اختلاف مقبول إنما تفسر بمعناها المباشر دون تأويلات، ومنه تفسير قوله تعالى: (ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ) [البقرة: 255] فتفسير الآية هنا كما جاء به الألوسي أن الله هو المستحق للعبودية لا غير،[27] وتفسيره معتمد على أن المحتوى محتمل وهو التوحيد، والتركيب محتمل أيضًا في أسلوب الاستثناء المعروف الذي أشار إلى إعرابه مجملا في المبتدأ والخبر فالاستثناء مفرغ، فتفسير الألوسي للآية بهذا الشكل البسيط يشير إلى أنها سهلة

[19] انظر: فريد بك، محمد، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ت: إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، ط2، 1403

[20] عبد الحميد، محسن، الألوسي مفسرًا، مطبعة المعارف، بغداد، ط1، ص33.

[21] انظر: الألوسي، أبو الثناء شهاب الدين محمود الألوسي الحسيني البغدادي، غرائب الاغتراب ونزهة الألباب، مطبعة الشابندر، بغداد، 1327هـ ، ص11، والأثري، محمد بهجة، محمود شكري الألوسي وآراؤه اللغوية، المطبعة الكاملية، مصر، 1985، ص32 – 36، البيومي، محمد رجب، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، دارالقلم، دمشق، ط1، 1415، ج2، ص33-44

[22] البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب، تاريخ بغداد، دار الكتاب العربي، بيروت، ج3، ص54، والزركلي، خير الدين بن محمود، الأعلام، دار العلم للملايين، ط8، 1989، ج6، ص271

[23] انظر: الألوسي، غرائب الاغتراب، ص3

[24] انظر، نفسه، ص4، وعبد الحميد، محسن، الألوسي مفسرًا، ص42

[25] انظر: الكتاني، محمد عبد الحي بن عبد الكبير ابن محمد الحسني الإدريسي، فهرس الفهارس، ت: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، ج1، ص140

[26] انظر: الألوسي، أبو الثناء شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي الحسيني البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ت: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ، ج1، ص4

[27] الألوسي، روح المعاني، ج2، ص6

الصياغة وإعلاميتها من الدرجة الأولى، ولنأخذ مثالا آخر في تفسير قوله تعالى: (إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ١) [الانفطار: 1] فكلمة (انفطرت) عند الألوسي تحمل إعلامية من الدرجة الأولى وتعني (انشقت).[28]

كما أن الألوسي قد يتجاوز الوقوف عند تفسير الآيات ذات إعلامية الدرجة الأولى، ففي تفسير قوله تعالى: (قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١) [الإخلاص: 1] رغم طول الحديث في هذه الآية إلا أنه لم يتطرق إلى تفسيرها المباشر، بل كان ما عرضه الألوسي في هذه الآية حديثًا عن ضمير الشأن (هو) وعن سبب النزول، وإعراب ألفاظ الآية على مستوى الجملة، كما وقف على همزة (أحد) وتصريفها، وكذلك على القراءات القرآنية فيها،[29] فإعلامية الآية عنده كانت من الدرجة الأولى، تركيبها محتمل ومحتواها محتمل.

إعلامية الدرجة الثانية في روح المعاني:

تتضح إعلامية الدرجة الثانية في تفسير الآيات عند الألوسي بداية في المعاني الاحتمالية التي ذكرها أثناء حديثه عن الآيات، فالتفسير موسوعي، والمعاني المذكورة فيه زاخرة، ومنه ما جاء في تفسيره لقوله تعالى: (فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦ) [النور: 43] فالودق عند الألوسي يحتمل أن يكون المطر شديدًا أو ضعيفًا، وكذلك نقل عن ابن أبي حاتم أنه البرق، ومن هنا نجد أن التركيب المحتمل فيه محتوى غير محتمل إذ إن كلمة (الودق) تحمل معنيين ممكنين مختلفين.

وتتزايد الاحتمالات الممكنة في تفسير آيات أخرى، فقوله تعالى: (وَلَيَالٍ عَشۡرٖ ٢) [الفجر: 2] ذكر الألوسي فيه وجوهًا أربعة لتفسير محتوى الآية، فقد تكون العشر الأولى من الأضحى أي من شهر ذي الحجة، أو أنهن العشر الأواخر من رمضان، أو العشر الأوائل من رمضان، أو العشر الأولى من محرم.[30]

كما تتجلى الإعلامية في الدرجة الثانية بالمحتوى المحتمل في التركيب غير المحتمل، ويمكن أن نجده في تفسير روح المعاني على سبيل المثال في قوله تعالى: (فَرَّتۡ مِن قَسۡوَرَةٍ ٥١) [المدثر: 15] فقد ذكر الألوسي أن كلمة قسورة بمعنى الأسد هي من لسان أهل الحبشة، ونلاحظ أن الإعلامية فيه هاهنا من الدرجة الثانية، فالمحتوى محتمل ولكن التركيب (قسورة) غير محتمل لإذ غنه من لسان غير عربي، وكذلك الأمر في تفسير كلمة (كُبَّارًا) من قوله تعالى: (وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا ٢٢) [نوح: 22] فصيغة (كبارا) بمعنى الكبير في الغاية، فقد ذكر الألوسي أنها من لغة يمانية، فالمحتوى محتمل ولكن التركيب غير محتمل.[31]

إعلامية الدرجة الثالثة في روح المعاني:

وقد أشار الألوسي في ممارسته النصية إلى وجود إعلامية تفوق الدرجة الثانية، وهي إعلامية الدرجة الثالثة، وهو المتشابه الذي استأثر الله بعلمه كالحروف المقطعة وقيام الساعة،[32] وعند تفسيره لقوله تعالى: (إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ) [يونس: 30] فقد أرجع الألوسي تخصيص الخلق بهذا العدد من الأيام بالذات إلى أنه علم قد استأثر بعلم ما يستدعيه علام الغيوب، فالألوسي كمتلقي هاهنا لم يصل إلى السبب، وجلي من قوله أن المحتوى غير محتمل وأن إعلامية عدد الأيام من الدرجة الثالثة في التفسير.[33]

المبحث الثاني: ملامح التنظير للإعلامية في روح المعاني.

وقف الألوسي في بعض المواضع على الإعلامية في القرآن الكريم من جانب تنظيري، وبرزت تلك التنظيرات في روح المعاني عند الحديث عن الحروف المقطعة وعن مسألة الإخبار بالغيب بالقرآن الكريم.

التنظير لإعلامية الحروف المقطعة:

ومما يشرح الممارسة الإعلامية في النص، ما أورده المفسر حول الفواتح المقطعة في السور وما يدور حولها من احتمالات ممكنة، ويمكن قراءة هذه الفكرة في قول الألوسي: "ألم هي وسائر الألفاظ التي يُتهجّى بها... أسماء مسمياتها الحروف.."[34] ويكون بذلك فتح باب الاحتمالات في وضعية هذه الفواتح أأسماء هي أم حروف؟ ولنتبين هذا ننظر في التوضيح الآتي:

- (أ) تنطق ألف وكلمة ألف هي اسم للمسمى الحرف (أ).

- (أ) صوت مفرد لم تتكون منه أي كلمة.

فهذا هو الحوار الأول عند الألوسي في إعلامية فواتح السور المقطعة هو تحديد نوعها، وأول احتمال هو أنها أسماء مسمياتها الحروف ألف اسم للمسمى (أ) وهكذا، والاحتمال الثاني أنها حروف أي أن (أ) ذلك الصوت المفرد، وتكمن أهمية تحديد النوع فيما يترتب عليها من قبول أن يكون لها معاني لغوية أو من رفض ذلك.

[28] انظر: نفسه، ج15، ص267
[29] انظر: نفسه، ج15، ص507
[30] انظر: نفسه، ج15، ص334
[31] انظر: نفسه، ج15، ص85
[32] انظر: نفسه ، ج2، ص80
[33] انظر: نفسه، ج6، 62
[34] نفسه، ج1، ص101

ثم إن ما يشد الانتباه إلى الممارسة النصية المتقاربة مع الإعلامية عند الألوسي، قوله: "ويحكى عن الخليل"[35] وهذا الموضع يوضح تطبيقا صريحا إلى مصدر خفض الإعلامية، وذلك أنه صرح بصاحب القول وبين حجته، ليكشف الخلفية المعرفية للقول بالاسم أو بالحرف، فالخلفية المعرفية من أهم مصادر التوقع حول النص.

إن ما يحسب أيضا في الممارسة إعلامية عند الألوسي في الحديث عن الفواتح المقطعة أو الحروف المقطعة كما يسميها المفسرون، أنه صرح بعبارة تعد غاية في الأهمية فهذه الفواتح لديه تجديد والجدّة من أهم العناصر الإعلامية فانظر في قوله معقبا على قول النبي لا أقول ألم حرف ... "فالمراد به غير المصطلح إذ هو عرف جديد"[36] وهذا التصريح يكشف مسارا واضحا من وجود الفكر الإعلامي والإجراء النصيّ في الجانب الإعلامي عند الألوسي رحمه الله حيث يصرح بالعرف الجديد وهو استعمال فواتح كلام جديدة على الأعراف اللغوية عند العرب.

التنظير في الإخبار بالغيب:

أخذ الألوسي على عاتقه إيضاح ما يثبت وجوه إعجاز القرآن الكريم في هذا الباب، وقد جعل له أدلة مرتبطة بالرسول المعروف أنه أميّ ولم يعرف بسابقة قراءة أو كتابة، وكذلك الدليل الآخر دليل يتعلق بالماضي كذكر القرآن الكريم القرون الأولى والأمم البائدة، وبعض الشرائع الداثرة، وقد أقام الدليل بوجود بعض الأحبار يعرفونها فمعرفتهم أقامت دليلا آخر على أنه سر من أسرار الإعجاز، فلو كانوا لا يعرفونه لكان عرضة للتكذيب، وكذلك الإعلام بما في ضمائر كثيرين، وقد ذكر بعض الآيات التي تمثل ذلك، قوله تعالى: (إِذۡ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمۡ أَن تَفۡشَلَا) [آل عمران: 122] وقوله: (وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ لَوۡلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُۚ) [المجادلة: 8] وأما الدليل الثالث ما كان معلقا على المستقبل، وأشار الألوسي إلى الآيات التي أخبرت بالحوادث المستقبلية نحو إخباره تعالى بغلبة الروم للفرس، قال تعالى: (الٓمٓ ١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ٣) [الروم: 1-3] وكذلك الإخبار في قضايا لا يفعلونها كقوله تعالى خطابا لليهود: (فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٩٤ وَلَن يَتَمَنَّوۡهُ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۗ) [البقرة: 94-95] . فما فعلوا ولا قدروا ولم يتمناه أحد، وتابع أن القرآن اختص بهذا النوع من الإعجاز من بين الكتب حتى أقصر سورة فيه مع أنها من ثلاث آيات فقد أشارت إلى أربعة أخبار بالغيب، فالآية الأولى إشارة إلى كثرة الأتباع، والثانية إخبار باليسر والغنى، والثالثة أنه صرح ورمز أن شانئك أبتر لا أنت، وكان كذلك الأمر.[37]

المبحث الثالث: تجليات الإعلامية في روح المعاني:

إن للإعلامية تجليات وظواهر برزت عند المفسرين جملة وعند الألوسي كذلك بصرف النظر عن درجتها، ومما يجدر ذكره أن مبدأ كسر التوقع كان جزءا لا يتجزأ من المكون القرآن الذي استكشفه التفسير ومن هذا المنطلق نذكر أهم المظاهر التي تراءت الإعلامية فيها، ومنها الإخبار بالغيب أي الآيات التي تحدثت عن قضايا غيبية بالنسبة للمتلقي الأول، ومنها ما تخطى المتلقي الأول إلى المتلقي في عصرنا الحاضر، ومن هذه التجليات المحكم والمتشابه في القرآن الكريم، ومنها كذلك الإشارات العلمية ومنها ملامح التجديد اللغوي أسلوبا واصطلاحا، والمجلى الأخير الذي لا يخفى على أحد وقد تمظهرت الإعلامية فيه هو الحروف المقطعة في فواتح السور

تجليات الإعلامية في تفسير الحروف المقطعة في روح المعاني.

إن تناول الحروف المقطعة بوصفها المصطلح القادم من علوم القرآن في باب الإعلامية مشروع؛ وذلك لأنها من تجليات الإعلامية في القرآن، فهي ملمح مهم؛ إذ تُصَنَّفُ في أبواب التجديد في اللغة، أو الجدّة في أعراف الكلام[38]، وهنا يحق لنا التساؤل: هل انتبه المفسّر إلى هذا الوجه؟ أو التفت إلى هذا الجانب من الوجوه النصّية في القرآن؟

ولا يعني هذا التساؤل بالضرورة ادعاء نظريّة نصيّة عند الألوسي شاملة أو كاملة إنما ينصب الحديث على الممارسة والإجراء عنده الذي طبقه الألوسيّ رحمه الله على القرآن، ربما يبدو للناظر غير المتمحّص أن تفسير روح المعاني منشغل بالتأويل النحوي وآثاره، غير أن الناظر سيدرك فيه ما يفوق هذه النظرة من تعامل مع وحدة كبرى، وقد ظهر غير مرة ما يثبت أنّ المبدأ الأساسي في هذا التفسير وهو المناسبات أو المناسبة.[39]

وقد صار من مكرور القول ترديد المفهوم اللساني للنظرية الإعلامية المتجلي في مبدأ التوقعات في مقابل عدمها، أو المعرفة مقابل عدم المعرفة[40]، وإن هذا المفهوم ينسجم انسجاما واضحا مع الممارسة النصية عند الالوسي في تناوله للفواتح المقطّعة (الحروف المقطعة)[41] في تفسيره روح المعاني، عند تعامله مع الحروف المقطعة في فواتح السور فتعالَ بنا ننظر في عبارته التي قدم بها أحد أشكال المناسبة بين سورة الفاتحة وسورة البقرة، يقول الألوسي: "ولما افتتح سبحانه الفاتحة بالأمر الظاهر وكان وراء كل ظاهر باطن، افتتح السورة بما بطن سره وخفي إلا على من شاء الله تعالى أمرّه فقال سبحانه وتعالى بسم الله الرحمن الرحيم(ألم)"[42]

---

[35] نفسه، ج1، ص101

[36] نفسه، ج1، ص102

[37] انظر: نفسه، ج1، ص33

[38] انظر: مصطفى، حنان وعبد الله، معيار الإعلاميّة وتجلياته في آيات القرآن الكريمة، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، العدد الأول، السنة العاشرة، ص11، 2018

[39] المناسبات هو أساس تفسير النص القرآني بوصفه كالكلمة الواحدة كما جاء في عدد كتب علوم القرآن، انظر: الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ ،ج2، ص384

[40] انظر: ديبوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص103

[41] ستجد مجموعة من التسمية منها الحروف المذكورة في أوائل السور كما جاء عند ابن كثير، ومنها: المقطعات المرقومة في فواتح السور كما جاء في تفسير أبي السعود، ومنها حروف المعجم كما جاء عند الزجاج، أو فواتح السور كما ذكره السيوطي، واختارت الورقة تسمية فواتح السور للخروج من الحوار القائم على تحديد ما هيتها والخلاف القائم على حقيقتها هل تنتمي إلى الأسماء أم إلى الحروف.

[42] الألوسي، روح المعاني، ج1، ص101

إن تصريح الألوسي يشمل مجموعة من المدلولات التي تتفق مع الإعلامية في اتجاهاتها الحديثة:

أولها: يشي به قوله: "ما خفى سره"[43] وهذا بيان يشير إلى كسر التوقع وعدم معرفة المتلقي لأبعاده. وهذا لب الإعلامية وحقيقتها، فالحمد في فاتحة ظاهر معروف و (ألم) في البقرة خفي المدلول غير معهود وغير متوقع وغير معروف، فإن كان كذلك فلا بد هو استعمال جديد على أعراف التعابير اللغوية لم يعهد عند العرب.

ثانيها: يتجلى في مبدأ التدرج من الظاهر إلى الباطن وهو ما يصرح به أصحاب النظرية الإعلامية بالحديث عن درجات الإعلامية وهي ثلاث درجات عند اللسانيين، وهي كذلك ثلاث درجات عند الألوسي في هذا الموضع على النحو الآتي:

الدرجة الأولى: ظاهرة معروفة وهذا يتكشف من قوله: "افتتح سبحانه الفاتحة بالأمر الظاهر"[44] وهي تقابل الدرجة الأولى في الإعلامية الحديثة.

الدرجة الثالثة: الباطن، وها هو يصرح به في قوله "ما بطن سره وما خفي أمره"[45] أي ما كان مقاربا للدرجة الثالثة من انفتاح النص على الاحتمالات والمعاني المتأوّلة والذي قد يصل إلى درجة الإغلاق عن إدراك أبعاده.

الدرجة الثانية: المعروف لدى بعض الناس وغير معروف للبقية وهو ما عبر عنه بقوله: "إلا على من شاء الله تعالى"[46] فهذا الاستثناء يقودنا إلى انتفاء الباطن عند بعض متلقي القرآن، مما يجعل الاحتمالات متطرقة إلى المعاني والمقاصد من هذه الفواتح، وأنها معروفة لدى بعضهم، فصارت الاحتمالات الواردة والقطع فيها درجة ثالثة من الإعلامية لتصير الدرجة الثانية من الإعلامية مقابل هذه الدرجة.

تجليات الإعلام بالغيب في روح المعاني:

وبعد أن نظّر الألوسي رحمه الله لمبدأ الإخبار بالغيب في خطبته أول الكتاب فإننا نجد تطبيقات كثيرة في التفسير، ومنه ما جاء في تفسيره لقوله تعالى: (لَن يَضُرُّوكُمۡ إِلَّآ أَذٗىۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمۡ يُوَلُّوكُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ) [آل عمران ١١١] فقد صرح بأن في هذه الآية دلالة واضحة على نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وذلك لما أخبرت به عن الغيب الذي وافقه الواقع بالمستقبل، فاليهود الذين نزلت فيهم هذه الآية وقد حاربوا المسلمين لم ينالوا منهم شيئًا، ولم ينصروا ولم ترفع لهم راية.[47]

وقوله تعالى: (وَأَلۡقَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ) [المائدة: 64] نقل الألوسي عن أبي حيان أن الآية في اليهود والنصارى، وأن المعنى أنهم لا يزالون متباغضين متعادين، لا يجتمعون على قتال المسلمين وحربهم، وذلك فيه إخبار بالغيب، ولم يجتمع لقتال المسلمين جيش يجمع اليهود والنصارى، فهذه الإعلامية تحمل خبرًا عن الماضي والحاضر والمستقبل معاً.[48]

وفي تفسيره ل (فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ١٣) [عبس: 31] ينقل الألوسي قولًا في أنها تحتمل فيه هذه الآية أن تكون إخبارًا بالغيب، فالقرآن وقت نزول هذه كان متفرقًا في الدفاف والجريد، وأول ما جمع في صحيفة كان بعهد أبي بكر رضي الله عنه، فهذه الإعلامية من الإخبار بالمستقبل.[49]

تجليات إعلامية المحكم والمتشابه في روح المعاني:

وتتجلى مظاهر الإعلامية في روح المعاني في المحكم والمتشابه، فالمحكم هو ما كانت إعلاميته من الدرجة الأولى فيكون في التفسير مباشرًا واضحًا لا غموض فيه ولا تعدد في المعاني التي تحتملها الآية.

وبعض ما جاء من تفسير المحكم في روح المعاني تفسير قوله تعالى مطلع سورة آل عمران (الٓمٓ ١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ٢) [آل عمران: 2] قال الألوسي: "أي ليس معك غيره شريك في أمره الحي الذي لا يموت وقد مات عيسى عليه السلام في قولهم: الْقَيُّومُ القائم على سلطانه لا يزول"[50] فنلاحظ أن الآية عند الألوسي من المحكم وتفسيرها كان مباشرًا واضحًا يحتمل وجهًا واحدا، وإعلامية النص هاهنا عنده إعلامية من الدرجة الأولى.

ولنأخذ تفسير كلمة (حمأ) كمثال آخر من الآي المحكم في قوله تعالى: (وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ٢٦) [الحجر: 26] قال: " من حمأ من طين تغير واسود من مجاورة الماء"[51] فكان ذلك هو تفسير الكلمة، فلم نجد تعددًا للآراء ولا إبهام فالمعنى واضح من اللغة والسياق.[52]

وفي موضع آخر من المحكمات عند الألوسي تفسير المهاد من قوله تعالى: (أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدٗا) [النبأ: 6] فقد فسره بالفراش الموطأ، فالإعلامية في هذه الآية عنده واضحة مباشرة لا خلافات فيها ولم تحتج إلى عدة قرائن لتحديد المعنى أو ترجيحه أو قبوله أو رفضه... بل إن اللغة وحدها كانت كافية لتفسيرها، والجدول الآتي يوضح الأمثلة السابقة:

---

[43] نفسه، ج1، ص101
[44] نفسه، ج1، ص101
[45] نفسه، ج1، ص101
[46] نفسه، ج1، ص101
[47] انظر: نفسه، ج2، ص244
[48] نفسه، ج3، ص349
[49] نفسه، ج15، 244
[50] نفسه، ج2، ص74
[51] نفسه، ج7، ص279
[52] نفسه، ج7، ص279

موضع التفسير	المعنى
الله لا إله إلا هو	ليس معك غيره شريك في أمره
الحي	الذي لا يموت
القيوم	القائم على سلطانه لا يزول
حمأ	طين تغير واسود من مجاورة الماء
مهادا	الفراش الموطأ
ولى مدبرًا	انهزم

أما المتشابه فإعلاميته تبدأ من الدرجة الثانية، وتفسيره يتعدد ومعانيه الاحتمالية تختلف بوجوهتبدأ من اثنين وقد تزيد عن عشرة، ومما كان يحتمل احتمالين في المعنى ما جاء في الحديث عن موسى عليه السلام من قوله تعالى (وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ١٠) [النمل: 10] ذكر الألوسي في تفسير (ولم يعقب) أنه لم يرجع على عقبه أو لم يلتفت.[53]

وفي قوله تعالى: (وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖۖ) [النمل: 12] فقد ذكر في تفسير (في جيبك) ثلاثة احتمالات نقلها، فالاحتمال الأول بمعنى جنب قميصك، وعلّق أنه مدخل الرأس لا ما يوضع فيه الدراهم، والاحتمال الثاني أنه القميص نفسه، والاحتمال الثالث أنه بمعنى تحت إبطك.[54]

أما قوله تعالى: (فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا) [الكهف: 65] وفي تفسير الرحمة هاهنا جاء في روح المعاني أربعة احتمالات، فقد يكون المراد بها الرزق الحلال والعيش الرغيد، أو العزلة عن الناس وعدم الاحتياج إليهم، أو طول الحياة مع سلامة البنية، أو الوحي والنبوة.[55]

وفي قوله تعالى: (وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ ٢٩) [الواقعة: 29] فإن الطلح في التفسير احتمل خمسة احتمالات، كان أولها أنه شجر الموز، وثانيها أنه ليس الموز ولكنه شجر ظله بارد ورطب، وثالثها أنه شجر يشبه طلح الدنيا ولكن ثمره أحلى من العسل، ورابعها أه شجر من عظام العضاه، وخامسها أنه شجر أم غيلان له نوار كثير الرائحة.[56]

وعودًا إلى قوله تعالى: (وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ) [آل عمران: 4] ففي تفسير الألوسي للفرقان ذكر وجوهًا سبعة، فقد تعني القرآن أو أن الفرقان الفاصل بين الحق والباطل أو المراد به بعض آي القرآن وهو المحكم، وقيل هو جنس الكتب الإليهة، وقيل نفس الكتب المذكورة وهي التوراة والإنجيل، كما قيل إنه الزبور، وأخيرًا قيل بأنها المعجزات.[57]

وقد ترتفع إعلامية المتشابه إلى الدرجة الثالثة، فمنه ما جاء في الحديث عن الحروف المقطعة في تفسير مطلع البقرة بأنها علم مستور وسر محجوب عجزت العلماء عن إدراكه وقد فصلنا الحديث عنه سالفًا.[58]

تجليات الإعلامية في الإشارات العلمية في روح المعاني:

لم يكتف الألوسي في تفسيره عند التفسير اللغوي أو التفسير بالمأثور إنما فتح فضاءات من التأويل تمتد إلى مجالات متعددة حمل عليها آي القرآن الكريم كالفلك والطب والجغرافيا، ولا شك أن روح المعاني يصنف ضمن التفاسير الموسوعيّة، كما ذكر أن القرآن قد جمع علوم الأولين والآخرين،[59] وسنقف على بعض المواضع التي حملت إشارات علمية تضمينًا أو تصريحًا، فإن فيها وجهًا من المعلومات التي يحملها النص القرآني وهو ما يعنى بالإعلامية بشكل مباشر.

ففي قوله تعالى: (وَسَخَّرَ الشَّمۡسَ وَالۡقَمَرَ (2الرعد)) أشار الألوسي في التفسير إلى أن تسخير الشمس والقمر أن الشمس تقطع الفلك في سنة والقمر في شهر، وهذه المعلومات تعود إلى علم الفلك، فمعلوم أن السنة تقتضي دوران الأرض حول الشمسة دورة كاملة، وأن القمر يدور حول الأرض في كل شهر مرة.[60]

وقد تعرض في التفسير إلى علم الطب، ففي حديثه عن قضية تحريم الخمر من قوله تعالى: (يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَاۗ) [البقرة: 219] ذكر الألوسي أنها قد تورث أمراضًا تسبب هلاك الإنسان، واستشهد بالأطباء الذين يقولون إن لها مضار بدنية كثيرة وذكر أن ذلك لا يخفى على من راجع كتب الطب،[61] كما أشار الألوسي في موضع آخر إلى أن للنبي معجزات دالة على علمه بدقائق الطب من غير تعليم.[62]

كما تحدث الألوسي عن علم التغذية، وهو ما وافق تفسيره لقوله تعالى: (والتين والزيتون1) في أن التين فاكهة طيبة وغذاء لطيف سريع الهضم، والزيتون الذي لا شيء مثله في الهضم والتسمين وتقوية الأعضاء وتحسين الألوان وتصفية الأخلاط وشد الأعصاب وكفتح السدد، كما انتقل

[53] نفسه، ج10، ص159
[54] نفسه، ج10، ص162
[55] نفسه، ج8، ص302
[56] نفسه، ج14، ص139
[57] نفسه، ج2، ص76
[58] نفسه، ج1، ص103
[59] انظر: نفسه، ج3، ص357
[60] انظر: نفسه، ج7، ص86
[61] انظر، نفسه، ج1، ص509
[62] انظر: نفسه، ج7، ص424

من الغذاء إلى علم الدواء، فالتين دواء ويقوي الكبد ويذهب الطحال وعسر البول وهزال الكلى والخفقان والربو وعسر النفس والسعال وأوجاع الصدر وخشونة القصبة إلى غير ذلك. كما قيل أنه يزيل نكهة الفم ويطول الشعر وهو أمان من الفالج، كما أنها علاج للبواسير والنقرس، أما الزيتون فدواء لإخراج الدود والإدرار وتفتيت الحصى وإصلاح الكلى وتقوية البصر.[63]

كما توقف عند الهندسة، ففي تفسير قوله تعالى: (وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ) [النحل: 68] تحدث عن خلايا النحل في أنها تعتمد الشكل السداسي متساوي الأضلاع في بنائها، في حين أن العقلاء لا يمكنهم ذلك إلا بآلات، مثل المسطرة والفرجار، كما توقف عند سبب اعتمادها الشكل المسدس دون غيره كالمثلث أو المربع أو المخمس وأرجع ذلك إلى سر لطيف يعتمد على علم الهندسة، فقد ذكر أنه ثبت في الهندسة أنها لو كانت مشكلة بأشكال أخر يبقى فيما بينها بالضرورة فرج خالية ضائعة.[64]

كما تجد تفسيرات فيزيائية في بعض الآيات، ففي تفسير قوله تعالى: (فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَّ) [آل عمران: 185] تحدث الألوسي أن أصل الزحزحة تكرير الزح، وأنه الجذب بعجلة، وهذا التفسير للزح فيه إشارة إلى التسارع الفيزيائي الميكانيكي.

ولنأخذ مثالًا آخر عن التفسير الذي اعتمد فيه الألوسي على الفيزياء للتوضيح، فمنه ما جاء في قوله تعالى: (وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ١٤) [الحاقة: 14] فقد أخذ الألوسي يوضح احتمالات حمل الأرض والجبال وكيفيتها، وهنا الاحتمالات التي جاءت من بعد فيزيائي:

الاحتمال الأول: خلق الله أجرام علوية فيها قوة تجذب الجبال وترفعها عن أماكنها.

الاحتمال الثاني: وجود أجرام سماوية فيها قوة الجذب تلك إلا أن بينها وبين الجبال مانعًا يحول دون الجذب والرفع، فيزول المانع فيحصل الجذب.

الاحتمال الثالث: وجود أجرام سماوية فيها قوة جذب وكذلك الأمر في الأرض، وتكون قوة الجاذبين مختلفتين والجاذب الأقوى يسحب الجبال وبإرادة الله يكون ذلك.

الاحتمال الرابع: إحداث قوى في الأرض توجب قذف الجبال وإحداث ما يوجب رفع الأرض عن حيزها.

الاحتمال الخامس: أن يكون الرفع بمصادمة بعض الأجرام للأرض فتنفصل الجبال وترتفع من شدة التصادم.

ومع أن الألوسي صرح أن ذلك فيه ما لا يُحتاج إليه إيمانًا بقدرة الله إلا أن الاحتمالات التي أوردها كانت تعتمد على الفيزياء والعلوم الطبيعية بشكل مباشر.

وتطرق إلى علم الكيمياء أيضًا، فعند تفسيره قوله تعالى: (وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ) تحدث في طبيعة إنزال الماء من المساء وحالات المادة التي تصيب الماء من تبخر وتكاثف وتجمد، فالمطر يبدأ بعملية التبخر بفعل الشمس التي تشع على البحار والبراري، والبخار يصعد وصولًا إلى طبقة الهواء الثالثة فيتشكل على هيئة سحاب، وهنا إما أن البخار يتكاثف فينزل على هيئة مطر أي بصورته السائلة إن لم يكن البرد قويًا وإما أن البخار يتجمد فينزل على هيئة ثلوج بصورته المتجمدة إن كان البرد قويًا في طبقة الجو.[65]

وفي تفسيره لقوله تعالى: (مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ٢٠) [الرحمن: 19-20] فقد وضح الألوسي في تفسير (لا يبغيان) أن البغي هو بفعل الممازجة فلا يمتزجان، ومعلوم أن الممازجة ما هي إلا عملية كيميائية.[66]

تجليات الإعلامية في الاصطلاح الجديد الذي أشار إليه الألوسي في روح المعاني:

حمل القرآن معلومات جديدة، وهذا ما وقف عنده الألوسي أيضًا في التفسير، كما أشار إليه، فنجد حديثه عن المثل والأمثال في تفسير قوله تعالى: (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ١٧) [البقرة: 17] فقد تحدث بداية عن المثل باللغة، ثم تحول إلى الاصطلاح " ثم أطلق على الكلام البليغ الشائع الحسن..."[67] حكى عن الأمثال بأنها لا يلزم منها الكناية والصورة التمثيلية وقد تكون بمعنى مباشر فالمراد من الأمثال هي قصدها ودوره في توضيح الأشياء، فلم يقبلوا تغييره لأن المقصود من المثل يتغير، فتفسير المثل يكون باللجوء إلى قصته، فيكون بالقول المشهور الذي يفسر مضربه أي لماذا نضربه؟ بمورده أي بالقصة التي استُعمل بها لأول مرة.[68]

ثم جاء بالكفة الثانية الأمثال القرآنية التي خالفت مبدأ التوقع الحادث عند العرب، قال: "يرد عليه أمثال القرآن لأن الله تعالى ابتدأها وليس لها مورد من قبل، اللهم إلا أن يقال: إن هذا اصطلاح جديد"[69] فالمثل القرآني خالف التوقع والمألوف لدى العرب لسببين:

أولًا: الله هو الذي ابتدأها

ثانيًا: ليس لها مورد من قبل

[63] انظر: نفسه، ج15، ص394
[64] انظر، نفسه، ج7، ص420
[65] انظر: نفسه، ج1، ص190
[66] انظر: نفسه، ج14، ص105
[67] نفسه، ج1، ص165
[68] انظر: نفسه، ج1، ص165
[69] انظر: نفسه، ج1، ص165

ثم بسط قوله: "إن هذا اصطلاح جديد"[70] فهو لم يكن معروفًا لهم من قبل وبه كسر حاجز التوقعات والمألوفات لدى المتلقين.

الخاتمة:

وبعد عون الله وتوفيقه توصل البحث إلى نتائج عديدة:

1- ظهرت الإعلامية في تفسير روح المعاني في درجاتها الثلاثة، فإعلامية الدرجة الأولى في تلك الآيات التي تحتمل وجهًا واحدًا للتفسير، وتلك التي تجاوزها الألوسي دون تفسير، وأما إعلامية الدرجة الثانية فبالمعاني الاحتمالية التي تضمنتها الآيات التي تقبل أكثر من وجه للتفسير، أما إعلامية الدرجة الثالثة فكانت في الذي استأثر الله بعلمه كالحروف المقطعة وقيام الساعة.
2- نظّر الألوسي للنظرية الإعلامية في تفسير روح المعاني في إشارات عند الحديث عن تفسير الحروف المقطعة في فواتح السور وفي الاستدلال إلى مبدأ الإخبار بالغيب.
3- إن تعامل الألوسي مع الحروف المقطعة في فواتح السور يجلي مبدأ الإعلامية من تجديد وكسر للتوقع وعدم المعرفة، وكذلك يتدرج مع درجات الإعلامية، ويقتبس من مبدأ خفض التوقع ومصادره في الإعلامية.
4- وقف الألوسي على مبدأ الإخبار بالغيب تنظيرًا وتطبيقًا، وأعزى ذلك إلى أسباب تتعلق بالرسول، وأسباب تتعلق بالزمن الماضي أو المستقبل، وهو ما يجلي مبدأ الإعلامية في عدم المعرفة وعنصر المفاجأة للمتلقي.
5- إن الوقوف على المحكم والمتشابه في تفسير الآيات يجلي الإعلامية في أوضح صورة فالمحكم لا يقبل إلا وجهًا واحدًا للتفسير وإعلاميته من الدرجة الأولى بينما المتشابه فتتعدد وجوه تفسيره وتتراوح إعلاميته بين الدرجة الثانية والثالثة.
6- لم يقف الألوسي على التفسير اللغوي، وإنما عمد إلى الحديث عن الإشارات العلمية التي يحملها نص القرآن كالفلك والطب والدواء والتغذية والفيزياء والكيمياء والهندسة، وتتجلى الإعلامية هاهنا في مبدأ كسر توقع المتلقي.
7- تتمظهر الإعلامية في مبدأ كسر التوقع عند المتلقي في الاصطلاح الجديد الذي أشار إليه الألوسي بالمثل القرآني.

والله الموفق.

المصادر والمراجع:

- إبراهيمي، عزت ملا، تجليات الإعلامية في القرآن الكريم (سورتي البلد والشمس نموذجًا) مجلة اللغة العربية وآدابها، جامعة طهران، إيران، العدد3، 2021.
- الأثري، محمد بهجة، محمود شكري الألوسي وآراؤه اللغوية، المطبعة الكاملية، مصر، 1985.

- الألوسي، أبو الثناء شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي الحسيني البغدادي:

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ت: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ.

-غرائب الاغتراب ونزهة الألباب، مطبعة الشابندر، بغداد، 1327هـ.

- البستاني، بشرى ووسن المختار، في مفهوم النص ومعايير نصية في القرآن الكريم، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل، العراق، 2011، العدد 11.

- البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب، تاريخ بغداد، دار الكتاب العربي، بيروت، ج3.

- البيومي، محمد رجب، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، دارالقلم، دمشق، ط1، 1415، ج2.

- حاقة، عبد الكريم، إبلاغية الخطاب القرآني من منظور لسانيات النص دراسة في سورة البقرة، رسالة دكتوراة، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2016.
- عبد الحميد، محسن، الألوسي مفسرًا، مطبعة المعارف، بغداد، ط1.

- ديبوجراند، روبرت وآخرون، مدخل إلى علم لغة النص، دار الكاتب، نابلس، ط1، 1992
- ديبوجراند، روبرت، النص والخطاب والإجراء، ترجمة: دتمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1998.
- الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ.

- الزركلي، خير الدين بن محمود، الأعلام، دار العلم للملايين، ط8، 1989، ج6.
- شاهين، فرحان عبد الخالق، أصول المعايير النصية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، رسالة ماجستير، جامعة الكوفة، العراق، 2012.
- فريد بك، محمد، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ت: إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، ط2، 1403

- الكتاني، محمد عبد الحي بن عبد الكبير ابن محمد الحسني الإدريسي، فهرس الفهارس، ت: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2.

- مصطفى، حنان وإخوان عبد الله، معيار الإعلامية لدى روبرت ديبوجراند وتجلياته في آيات القرآن الكريم دراسة دلالية، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، العدد 1، ماليزيا، 2018.

[70] انظر: نفسه، ج1، ص165